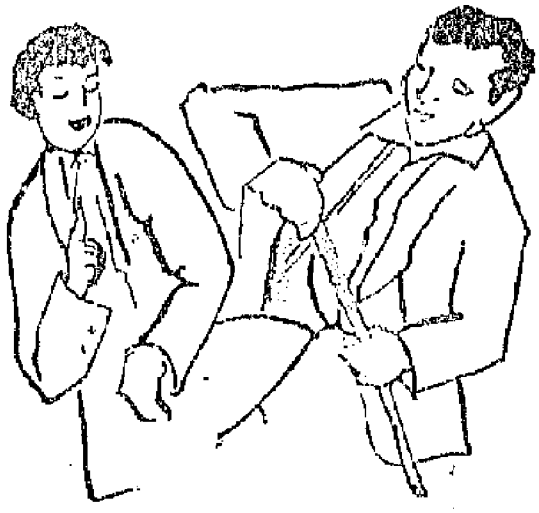

ألقى المستر تويدي نظرة عابرة على الطلاب . . وتوقفت عيناه برهة أمام الأوسطى عبده ، فقد كان الوجه جديداً على عينيه ، وكان منظر الأوسطى عبده برقبته الطويلة ووجهه الأعجف وعينيه المذعورتين ، منظراً غريباً .

الأوسطى عبده والمستر تويدي . .

رأى

أنّ هناك حديثاً يشغل الناس فى هذه الأيام كحديث الغلاء ، وعندما يتحدث الناس عن الغلاء فلن يخلو حديثهم من مقارنة بين أسعار اليوم وأسعار الأمس ، وضرب الأمثلة المتعددة على ارتفاعها الفاحش الآن وانخفاضها العجيب فيما مضى .

ولم يكن المجلس الذى ضم ثلتنا بالأمس ليختلف عن غيره من مجالس الناس ، فسرعان ماساقنا الحديث ذو الشجون إلى ذكر الغلاء ، وبين عشية وضحاها انقلب الحديث إلى مباراة فى ضرب الأمثلة لغلاء اليوم ورخص الأمس ، وانهالت الشكوى من النفوس مريرة ، والسخط لاذعاً حاراً .

قال أحدنا وهو يهز رأسه أسفاً :

— لقد أصبحت الحياة لاتطاق . . لم يعد هناك شىء محتملا ، لامأكل ولا ملبس . . من يصدق أنى منذ أسبوع أردت أن أفصل بدلة عند « جباى » الترزى . . فطلب منى خمسة عشر جنيهاً ، للتفصيل فقط ؟ !

فسأله آخر متعجباً :

— خمسة عشر جنيهاً ! ! الله يرحم زمان ، عندما كانت

البذلة لاتكلفنا أكثر من مائة وخمسين قرشاً قماش ، وتفصيل !

ورد عليه الأول ، وهو مهندس معروف :

— إى والله .. مائة وخمسين قرشاً ، كانت أقصى ماتتكلفه البدلة ، وكنا نستكثرها على الترزى وعلى جيوبنا فنأبى أن ندفعها إلا بالتقسيط .

وضحك الأصدقاء . . .

واندفع صاحبنا يقهقه وقد تذكر حادث مطاردة الترزى لصديقه أحمد أبو الفضل . وأخيراً تمالك نفسه وأخذ يقص الواقعة فقال :

كان ذلك منذ خمسة وعشرين عاماً ، وكنا وقتذاك طلبة فى المهندسخانة ، وقد اعتدنا أن نجتمع فى بيت صاحبنا أحمد أبو الفضل بشارع النواوى فى البغالة حيث كان بالبيت حجرة منفصلة كنا نأوى إليها للسمر والاستذكار .

وذات ليلة وقد انتظم عقد ثلتنا داخل الحجرة ، وبدأنا نستعد لمواصلة الاستذكار .. إذ طرق الباب طارق . وصاح أبو الفضل آمراً بصوته الجهورى « أدخل » ظاناً أن الطارق هو «عم محمد» البواب يحمل إلينا القهوة أو الشاى . وهنا أطل علينا وجه شاب به كثير من ذعر وكثير من

خجل ، وجه نحيل أعجف بارز عظام الوجنتين ، غائر العينين ، وبدأ صاحب الوجه يدفع الباب ويتقدم فى الحجرة رويداً رويداً حتى مثل أمامنا . وسألناه عما يريد فقال :

ـــ أنا الأسطى عبده الترزى .

ـــ تشرفنا يا أسطى عبده .

وانهالت عليه التحيات والسلامات من هذا النوع التهكمى .

فلما انتهينا من تحياتنا الساخرة . . بدأ الرجل فى شرح مطلبه وتفسير زيارته ، ففهمنا منه أنه قد فتح حانوتاً للتفصيل على ناصية شارع سليم ، وأنه قد مضى عليه شهر والحالة راكدة ولم يدخل حانوته أحد ، وأنه لم يستطع أن يحصل حتى على إيجار الدكان . . ولما كنا « الأفندية » الوحيدين الموجودين فى (الحتة) فقد لجأ إلينا عسى أن نجبر بخاطره وأن (ننفعه) !

ولم يكد الأسطى عبده ينتهى من شرح حالته واستعطاف قلوبنا حتى قرن القول بالفعل وهجم علينا وفى يده (المازورة) يأخذ المقاسات المطلوبة لكل منا ويدوّنها فى نوتة صغيرة أخرجها من جيبه . . وفى غمضة عين كان الرجل قد أخذ مقاساتنا جميعاً .

ونظر أبو الفضل إلى الأسطى عبده نظرة رثاء وعطف وهو يضع المازورة فى جيبه وقد أشرق وجهه بالأمل وابتسم ابتسامة الفوز .

وأخذ أبو الفضل يشرح له قائلا :

— بق اسمع أما أقولك يا أسطى عبده ، ماتتعبش نفسك معانا . . إحنا البدله بتاخد لها على جتتنا خمس سنين خدمة ، زى العسكرية بالضبط ، وبعدين لما تطلع رديف نبقى نفكر نفصل بدلة جديدة ، ودلوقت أقدم بدلة على أى واحد منا ماتزيدش عن سنتين خدمة . يعنى بعد ثلاث سنين ربنا يديك العمر وتيجى تزورنا إن شاء الله .

— كل خمس سنين بدله ؟ إزاى يابيه الكلام ده ! دا انتم أسياد الناس . . . أنا حااعمل لكل واحد منكم بدلة تليق بالمقام .

— المقام محفوظ يا أسطى . . بس المسأله إن العين بصيره واليد قصيره . إحنا قادرين نجيب علبة سجاير لما حانفصل بدله ؟

— دى الحسبة كلها مائة وخمسين قرشاً يابيه ، مش ضرورى تدفعهم مرة واحدة . إدفع اللى تقدر عليه . . . إدفع خمسين قرش كل شهر ، أو خمسة وعشرين .

وقبل أن نجيب الرجل ، ألقى علينا تحية سريعة ثم أولانا ظهره وانصرف هارباً .

ولم يمض أسبوع حتى كانت البذلات الخمس مستوية على أجسادنا .

وأقول الحق أنها كانت جيدة التفصيل ، فاخرة القماش وأننا رحنا نختال بها فى المدرسة كأية ثلة ارستقراطية وأن الزملاء ظنوا أننا عثرنا على كنز .

وعندما حل أول الشهر بدأ الأسطى عبده التحصيل ، فأعطاه البعض وتهرب البعض الآخر . واستمر فى التحصيل شهراً بعد شهر ، فكان كل منا يعطيه شهراً ويزوغ شهراً ، إلا واحداً منا كان يزوغ على طول الخط فلم يعطه من ثمن البذلة مليما واحداً .

أجل ، لقد كان أبو الفضل أكثرنا اختيالا بالبذلة ، وأكثرنا هرباً من الرجل ، وفراراً من الدفع .

كان لأبى الفضل مطالب خاصة كثيرة تستنفد كل مصروفه ، فقد كان مدمناً على السجاير ، وكانت له (غطسات) فى « أمكنة ما » تستنفد منه ما تبقى من النقود بعد ثمن السجاير ، ولذا فلم يحدث قط أن توفر فى جيبه مايستطيع أن يسدد منه قسط البذلة .

ولم يكن الأسطى عبده من النوع الذى ييأس أو يكل ، بل كان ملحاحاً مثابراً يطارد صاحبنا فى كل حل وترحال . . لاتكاد الشمس تؤذن بالشروق حتى يتخذ مكانه على باب البيت ، فيظل مرابطاً حتى الضحى ، وحتى يكتشف أن أبا الفضل قد هرب من إحدى النوافذ . فإذا ما كان اليوم التالى رابط تحت النافذة ، فيفر أبو الفضل من الباب ، وهكذا يستمر الأسطى عبده فى المطاردة حائراً بين النافذة والباب حتى يصمم أخيراً أن ينقل ميدان المطاردة إلى المدرسة ، فيفاجىء أبا الفضل ذات صباح أمام باب المدرسة .

ومازلت أذكر ذلك اليوم جيداً وقد أشرفنا على المدرسة وسار أبو الفضل بيننا يعلننا مفاخراً أنه قد عرف كيف يدوخ الأسطى عبده حتى يئس منه ومن مطاردته له وأنه اليوم قد خرج من البيت فإذا بالحصار قد فك ، وإذا بالعدو قد عاد إلى قواعده فى شارع سليم !

ولم يكد أبو الفضل يتم حديثه حتى برز لنا الأسطى عبده من وراء شجرة ضخمة بجوار باب المدرسة كان يختفى وراءها .

وكان هجومه على أبى الفضل مفاجئاً ، أصابه بغير قليل من الاضطراب والارتباك ، ولكنه سرعان ماتمالك نفسه

وهدأ روعه، ومد يده للأسطى عبده مرحباً . . وقال فى بشاشة :

ـ أهلا . . أهلا الأسطى عبده ، فينك من زمان ماحدش بيشوفك . . أنا كنت لسه جايب سيرتك عشان عايز أديك قسط البدلة . أنا محضر ولك فى البيت . ابقى فوت علىّ فى أى وقت .

ـ بيت إيه يابيه ! دا انت دو ختنى تحت البيت وحيرتنى من الباب للشباك . دا انت مقابلتك نادرة من نوادر الزمن . أنا حافضل معاك لغاية مانرجع البيت سوا .

ـ مفيش لزوم تعطل نفسك يا أسطى عبده . . أنا ماحبش أعطلك .

ـ أبداً ، أبداً ، مفيش عطله أبداً ، حاستنا لغاية مانرجع سوا .

ـ نرجع سوا ؟

ـ أيوه . . نرجع سوا .

ولم يكن أبو الفضل ليغلب على أمره ، فوافق الرجل على أن يبقى معه ، وسأله أن ينتظره خارج المدرسة آملا أن يخدعه ويستطيع (التزويغ) من باب آخر ، فقال له ببساطة :

— طيب يا أسطى عبده ، أمرك . . مادام عايز تستنانى خليك مستنى . أقعد على البوابة لغاية ما اخرج .

— بوابة مين ؟ إيدى فى إيدك . . أنا مش حاخليك تتورب عن عينى . دانت لقاك مش بالساهل . أنامافرطش فيك أبداً بعدما التقيتك .

وكنا قد وصلنا إلى باب المدرسة واجتزناه ودلف معنا الأسطى عبده .

ورأى أبو الفضل أن من الخير أن يتجنب الفضيحة وألا يحاول حجز الرجل على الباب بالقوة ، فتركه يدخل معنا . . .

ووصلنا إلى الفصل ، ودخلنا والأسطى عبده فى أعقابنا وجلسنا على التخت ، وبجوار أبى الفضل جلس الأسطى عبده ، مصراً على أن لايتركه لحظة واحدة .

وكانت الحصة الأولى عندنا فى ذلك اليوم رياضة ، وكان مدرس الرياضة وقتذاك فى المهندسخانة هو المستر تويدى . وكان الرجل نظامياً جاداً . وكانت حصته هى الوحيدة التى نجلس فيها منتظمين ويجلس كل طالب فى مكانه المخصص له وفى نمرته التى أعطاها له المستر تويدى .

وكانت الحصة تبدأ فى التاسعة ، ومن عادة المستر تويدى

أن يكون في الفصل في بدء الحصة بالضبط فيغلق الباب وراءه بعد دخوله . . ثم يفتحه في الساعة التاسعة وخمس دقائق ليدخل المتأخرون ويغلقه بعد ذلك فلا يفتحه إلا في نهاية الحصة ، وهكذا كان يعطى للطالب فرصة للتأخير خمس دقائق أما بعد ذلك فلا يقبله في حصته .

وفي التاسعة بالضبط كان المستر تويدى يجتاز باب الفصل ، وكان كل منا قد جلس في مكانه صامتاً ساكناً لا ينبس ببنت شفة واضعاً أمامه على الدرج الكتب المطلوب استعمالها في الحصة .

وكان الوحيد الذى لا يضع أمامه كتباً هو الأسطى عبده النرزى ، وقد خشى أبو الفضل أن يكشف المستر تويدى أمره فأزاح كتبه من أمامه ووضعها أمام الاسطى عبده . . .

وهكذا جلس الأسطى عبده على مقعده — كأحد الطلبة — جاداً صامتاً وأمامه الكتب المطلوبة في درس التفاضل والتكامل .

وكان المستر تويدى انجليزياً مهيب المنظر ، أحمر الوجه أشعث الشعر ، فارع القامة ، يزيد من مهابته منوكل يضعه على إحدى عينيه .

ولست أشك فى أن الأسطى عبده قد تملكه من منظر المستر تويدى جزع شديد ، فقد رأيته يحملق فيه وقد اصفر وجهه ، وأحس بمدى حرج مركزه .

وألقى المستر تويدى نظرة عابرة على الطلاب ، وتوقفت عيناه برهة أمام الأسطى عبده فقد كان الوجه جديداً على عينيه ، وكان منظر الأسطى عبده برقبته الطويلة ووجهه الأعجف وعينيه المذعورتين اللتين تترجرجان فى وجهه . . منظراً غريباً .

ولكن المستر تويدى لم يقل شيئاً ، فقد ظن الأسطى عبده طالباً جديداً ولاسيما أن كتبه كانت موضوعة أمامه.

وكان من الممكن أن يمر الدرس بسهولة على الأسطى عبده لو أن المستر تويدى كان كبقية خلق الله من مدرسى المهندسخانة الذين يلقون المحاضرة على الطلاب ثم يغادرون الفصل بسلام . . .

ولكنه لم يكن كذلك ، بل كان يأبى إلا أن يبدأ درسه بالسؤال فى الدروس السابقة ماراً على الطلبة ملقياً على كل واحد منهم سؤالا بالدور .

وبدأ المستر تويدى أسئلته فى التفاضل والتكامل ووصل الدور إلى الأسطى عبده .

وانطلق السؤال من المستر تويدى الأحمر المهاب ذو المنوكل ليستقر على الأسطى عبده الغلبان الكحيان الذى ينتفض ويرتجف .

ووقف الأسطى عبده الترزى ليجيب على سؤال عويص فى التفاضل والتكامل .

وكانت إجابة السؤال على ما أذكر (د . س) على (د . ص) ، وكانت بطون الطلبة تصطخب بالضحك . وبدأت المحاولات لإنقاذ الأسطى عبده فأخذت الأصوات تهمس من حوله بالإجابة قائلين له :

— شد حيلك يا أسطى عبده . . ما تخافش . . المسأله بسيطه خالص . . قول (د . س) على (د . ص) .

ولكن المسألة لم تكن بالنسبة للأسطى عبده بسيطة قط ، ولم يستطع ذهنه أن يقتنع أو يفهم حكاية (د س) على (د ص) . . ولكنه أمام نظرات المستر تويدى النارية المصوبة إليه ألقى الإجابة حسب مايمكنه أن يفهمها ، فقال وهو يرتجف :

— دى س ودى ص .

واقتنع المستر تويدى وأشار له بالجلوس ، وظلت الأسئلة تلف ثم تستقر مرة أخرى على الأسطى عبده

حتى (نشف دمه) وبقى كريشة فى مهب الرياح ، وكانت تتعالى الأصوات هامسة حوله بالإجابة فيلتقطها كالببغاء ويطلقها متوكلا على الله ثم يرتمى على المقعد غارقاً فى عرقه ، حتى انتهت الحصة ، وانتهى معها الأسطى عبده .

إى والله . . لقد أغمى على الأسطى عبده بعد خروج المستر تويدى ، وعندما أفاق بكى بكاء حاراً ، وأقسم يميناً ألا يدخل مدرسة المهندسخانة بعد ذاك ، وألا يطالب أبو الفضل بقسط البذلة .

وأثر فينا بكاء الرجل . فاكتتبنا كل منا بخمسة قروش وجمعنا له ثمن البذلة .

وكانت آخر مرة يحاول الأسطى عبده التفصيل لنـــا بالإكراه .